منهج الأمام محمود شلتوت في تفسير القرآن الكريم

١٣١٠هـ – ١٣٨٣هـ = ١٨٩٣م – ١٩٦٣م

الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب

كلية الآداب / الجامعة الاردنية – عمّان

يعالج هذا البحث منهج الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى في تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى. وبالتحديد من سورة الفاتحة الى الآية الحادية والعشرين بعد المائة من سورة التوبة. وعند الرجوع الى المصحف الشريف تبين لي أن الجزء العاشر من القرآن الكريم ينتهي بالآية الثانية والتسعين من سورة التوبة، ويعني ذلك ان الأستاذ محمود شلتوت قد فسر تسعاً وعشرين آية من الجزء الحادي عشر من القرآن الكريم المشتمل على ثلاثين جزءا .

وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا التفسير في سنة ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م. وبين يدي الآن الطبعة السابعة التي صدرت في سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ولقد تحدث الدكتور محمد البهي في تصدير الطبعة الاولى من هذا التفسير عن منهج هذا التفسير ، قال :

أولا: جعل السورة وحدة واحدة ،يوضح مراميها وأهدافها وما فيها من عبر ومبادىء انسانية عامة .

ثانيا: عدم اقحام غير القرآن على القرآن من رأي خارج عنه، أو مصطلح انتزع من مصدر آخر، فجعل كلمات القرآن يفسر بعضها بعضاً ، كما أطلق الحرية للقرآن في أن يدلي بما يريد دون أن يحمل على مايراد .

ثالثا : لم يكن له ان يدع القرآن ينطق بما يدل عليه ، الا بعد أن يزيل العقبات التي كانت تحول دون ذلك، فكان من منهجه التعقيب على آراء المفسرين السابقين ولأنه تفسير للمسلمين

جميعاً آثر به فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر – منذ أن توفر عليه في عام ١٩٤٩ – مجلة «رسالة الاسلام» ،التي تصدرها جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية بالقاهرة .وهي جماعة تألفت في يناير سنة ١٩٤٧. وقد آثر فضيلته هذه المجلة بهذا «التفسير» لأنه اقتنع ، بعد أن كان من المؤسسين للجماعة ، بأنها اللسان الذي ينقل للمسلمين مايريده الاسلام لهم في قرآنه الكريم ، لا مايريده مذهب معين ولا اتجاه فكري خاص .

وفي الفصل الاول من كتاب «منهج ابن القيم في التفسير» يقرر مؤلف الكتاب محمد أحمد السنباطي أن منهج ابن قيم الجوزية يقوم على الوحدة الموضوعية للصوره، وأنه رائد في ذلك، ويتحدث عن تلامذته في مصر والخارج، ويذكر الشيخ محمود شلتوت الذي سلك هذا المنهج وتأثر به، ويعرض نموذجا من تفسير الشيخ محمود شلتوت لسورة آل عمران (٢) .

وتناول الدكتور منيع عبد الحليم محمود تفسير الشيخ محمود شلتوت ضمن كتابه «مناهج المفسرين» .وتحدث عن حياته العلمية، ورأى ان تفسير الشيخ شلتوت يمثل الدراسة العلمية الموضوعية التي تجعل القرآن اصلا للبحث وأساسا للتشريع، فيجمع الى الآية التي يقصد تفسيرها ماينا سبها من ايات وما يرتبط بها من موضوعات العلوم ثم يعالج موضوع الآية معالجة عامة شاملة تبرز موقف القرآن بل الدين عامة من هذا الموضوع.

ووصف الدكتور منيع عبد الحليم محمود هذا التفسير بوضوح الفكرة وسهولة الاسلوب وجمال التنظيم (٣) .

وما كتبه الدكتور محمد البهي في تصدير الطبعة من تفسير الشيخ محمود شلتوت عن منهج الشيخ في التفسير وما ذكره الاستاذ محمد احمد السنباطي عن تأثر الشيخ محمود شلتوت بمنهج ابن قيم الجوزية الذي يقوم على الوحدة الموضوعية للسورة وما ذكره الدكتور عبد الحليم محمود عن منهج الشيخ محمود شلتوت في تفسير القرآن الكريم حفزني، بل دفعني الى أن أعمل بحثا ادرس فيه منهجه في تفسير القرآن الكريم.

---

(١) تفسير القرآن الكريم ، الاجزاء العشرة الاولى ، محمود شلتوت ، ط١ ، تصدير بقلم محمد البهي ، ص١١ ، ١٢ .

(٢) منهج ابن القيم في التفسير ، محمد احمد السنباطي ، من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣ ، ص٨٤ ، ٩٨ .

(٣) مناهج المفسرين ، منيع عبد الحليم محمود ، ط١ ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، دار الكتاب المصري/القاهر–دار الكتاب اللبناني/بيروت ، ص٣٤٧ ، ٣٤٨ .

وفي الطبعة الاولى من هذا التفسير نجد المؤلف يقدم له بمقدمة يتحدث فيها عن عناية المسلمين بالقرآن ،واشتغالهم بالعلوم المختلفة لخدمة القرآن واختلاف التفاسير باختلاف ثقافة المفسر، ويركز على ناحيتين كان من الخير أن يظل القرآن بعيدا عنهما، احتفاظا بقدسيته وجلاله، وهما: ناحية استخدام آيات القرآن لتأييد الفرق والخلافات المذهبية وناحية استنباط العلوم الكونية والمعارف النظرية الحديثة منه. ثم شرع الشيخ محمود شلتوت يبين جوانب الخطأ والشر في هاتين الناحيتين (١).

وبين أن التركيز على هاتين الناحيتين يعد ركيزة أساسية من ركائز النهج الذي التزم به في تفسيره .

وقد ذكر الدكتور محمد البهي ان الشيخ محمود شلتوت بدأ ينشر تفسيره هذا منذ عام ١٣٦٩هـ- ١٩٤٩م. في مجلة رسالة الاسلام التي تصدرها جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية بالقاهرة .

ويعني ذلك ان الشيخ محمود شلتوت قد وضع نصب عينيه منهجا معينا منذ تلك الفترة في تفسير القرآن .ويؤكد ذلك بحث في القرآن الكريم نشره محمود شلتوت تحت عنوان «القرآن والقتال» في كتيب سنة ١٣٦٧هـ- ١٩٨٤م. ويبدو أن هذا البحث صدر بمناسبة حرب فلسطين.

وفي مقدمة هذا البحث يعرض الشيخ محمود شلتوت للطريقة المثلى في تفسير القرآن يقول: «لتفسير القرآن الكريم طريقتان: -

أحدهما: أن يسير المفسر بتفسيره مع آيات الذكر الحكيم وسوره على الترتيب القرآني المعروف ،فيفسر المفردات ،ويربط الآيات، ويبين المعاني التي تدل عليها. وهذه هي الطريقة التي عهدها الناس منذ كان التفسير وكان المفسرون. ومن مظاهر هذه الطريقة اختلاف طرق التفسير باختلاف روح المفسرين وكثيرا ماتفسر الآية على مقتضى القواعد الأصولية التي استخلصها أرباب المذاهب من الفروع الفقهية واتخذوها أصولا تحاكموا اليها في فهم القرآن والسنة واستنباط الاحكام ،ولم يقف ذلك عند التشريع وآيات الاحكام بل تعدى الى العقائد وآراء الفرق ، فتراهم يقولون : هذه الآية لاتتفق ومذهب أهل السنة ،فهي مؤولة بكذا وكذا ،كما يقولون: هذه الآية لاتتفق ومذهب الحنفية

(١) تفسير القرآن الكريم ، الاجزاء العشرة الاولى ، محمود شلتوت ، ط١ ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .، مقدمة ، ص١٧-٢٢ .

وتأويلها كذا وكذا .... وهكذا صار القرآن فرعا بعد ان كان أصلا، وتابعا بعد ان كان متبوعاً وموزونا بغيره بعد أن كان ميزانا....

اما الطريقة الثانية فهي ان يعمد المفسر أولا الى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ،ويفقه معانيها ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم، ويتبين المرمى الذي ترمي اليه الآيات الواردة في الموضوع .وبذلك يضع كل شيء موضعه ولا يكره آية على معنى لاتريده، كما لايغفل عن مزية من مزايا الصوغ الالهي الحكيم. وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى ،وخصوصا في التفسير الذي يراد اذاعته على الناس بقصد ارشادهم الى ماتضمنه القرآن من انواع الهداية، والى ان موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة يشتغل بها الناس من غير ان يكون لها مثل واقعية فيما يحدث للافراد والجماعات من أقضية ،ويتصل بحياتهم من شؤون. وكثيرا مايغيب عن الناظر في القرآن السر في آية معينة حتى اذا ماسمع زميلتها الواردة في موضوعها علم ماغاب عنه، وانكشف امامه ماكان خافيا عليه. وقد رغبنا ورغب أهل البصيرة في العلم أن يعرض تفسير للقرآن على هذه الطريقة الجديدة ،فتعرف موضوعات القرآن ،وتبحث بحثا نقيا بريئا من الشوائب التي من شأنها ان تستر الحق او تشوه جماله بعيدا عن الطريقة الملتوية، منزها عن الاقاصيص الدخيلة والخيالات التي لايزكيها عقل لا حقيقة.

وأرجو أن يجد الناس في هذا النحو الجديد من التفسير ماتصبو اليه نفوسهم من تعرف هداية القرآن والوقوف على اسراره وحكمه والانتفاع بمبادئه وتعاليمه. وقد عرضت منذ سبع سنوات على هذا النحو موضوع القرآن والمرأة ، وأظن أن الذين قرأوه باخلاص قابلوه بصدر رحب وقلب مطمئن (١) .

ونستطيع القول ان الشيخ محمود شلتوت يرى ان الطريقة المثلى في تفسير القرآن هي الوحدة الموضوعية للسورة بل للقرآن كله أو مايسمى بالمنهج الموضوعي أو الاتجاه الموضوعي في تفسير القرآن. ويرى المؤلف أن هذه الطريقة نحو جديد من التفسير رغب فيه المؤلف وأهل البصيرة في العلم.

مما سبق نقول ان منهج محمود شلتوت في تفسير القرآن كما أبان عنه المؤلف في مقدمة تفسيره للاجزاء العشرة الأولى من القرآن وفي مقدمة البحث الذي كتبه تحت عنوان «القرآن والقتال» يقوم على هذه الاسس والركائز التالية:

(١) القرآن والقتال ، محمود شلتوت ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، ص٣-٨ .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

النساء، بل عرض لهن، في أكثر من عشر سور، وان لم تسم بهذا الأسم: عرض لهن في سورة البقرة في ربعين عظيمين هما: (يسألونك عن الخمر والميسر)، (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة). وعرض لهن في سورة المائدة وبين حل تزوج المحصنات الكتابيات منهن، وسوى في حقوق الزوجية بينهن وبين المحصنات المؤمنات، ونرى ذلك في الآية الخامسة من هذه السوره .

وعرض لهن في سورة النور ، وبين مايردعهن عن ارتكاب مايزرى بالكرامة. ويخل بالشرف والمكانه، كما بين حكم من تعدى عليهن بالقذف زوجا كان او غير زوج ، وعرض لهن في سورة الأحزاب وعالج كثيرا من المشاكل المنزلية وما يجب عليهن من آداب، وقد اتخذت السورة زوجات الرسول مثالا حيا فيما ينبغي أن تتخذه الزوجة الصالحة أساسا لحياتها الفاضلة. ونرى ذلك في الآية الثلاثين من هذه السورة حتى الآية التاسعة والخمسين .وعرض لهن في سوره المجادله، فاستمع الى رأي المرأة وقرره مبدأ يسير عليه التشريع العام الخالد. وعرض لهن في سورة الممتحنة ،وبين حكم النساء ، يهاجرن مؤمنات من بلاد الاعداء الى بلاد الاسلام، وحكم زوجيتهن لازواجهن السابقين وزوجهن بالمؤمنين وبين حقهنّ في المبايعة على السمع والطاعة، وعلى القيام بحدود الشريعة وأحكامها وأنهنّ في ذلك كالرجال .

وعرض لهن في سورة التحريم في شأن جرى بين زوجات الرسول ،ويجرى بين كل الزوجات في كل زمان ومكان، وتقررت في هذه السورة مسؤولية المرأة عن نفسها مسؤولية مستقلة عن مسؤولية الرجل ، وأنه لايؤثر عليها وهي صالحة فساد الرجل وطغيانه، ولا ينفعها وهي طالحة صلاح الرجل وتقواه، ونرى ذلك في الآيات الخمس الأوائل من هذه السورة، والآيات التي ختمت بهن (١).

وفي صدد دراسة الشيخ محمود شلتوت لسورة الأنفال يتحدث عن قصص القرآن بصفة عامة ،يقول: ويجب ان ينظر الى قصص القرآن في جميع موارده هذه النظرة فلا يعاب على القرآن اهمال الاماكن والاشخاص فيما يقص، ولا اهمال الترتيب بين الحوادث، فان هذا او ذاك من شأن المؤرخ الذي يعنى بالقصص كتاريخ لاكعظات وعبر . أما القرآن فليس كتاب تاريخ،وانما هو كتاب هداية وارشاد يذكر تارة القصة

(١) تفسير القرآن الكريم–الاجزاء العشرة الاولى– ، محمود شلتوت ، ط٧ ، ص١٦٢–١٦٥ .

ويشير الى بعض وقائعها في موضع ويشير الى البعض الآخر في موضع آخر، ويستقصي مره، ويقتصر أخرى، وهكذا يفرق القصص، ويفرق القصة الواحدة في اماكن متعددة وفي سور مختلفة باعتبار المناسبات والعبر التي يدعو اليها المقام الذي يتحدث فيه، ومن هنا نرى ان القصة الواحدة قد تذكر على وجوه مختلفة في اماكن متعددة مختلفة بين الطول والقصر، والاجمال والتفصيل، والاقتصار والاكمال (١) . ويتحدث عن قوله تعالى (يسألونك) في جميع القرآن بشكل يدل على التنظيم والاستقصاء (٢) .

مما تقدم نستطيع ان نقول ان الاستاذ محمود شلتوت يركز في تفسيره على المقاصد والاغراض والأفكار الرئيسية في السورة التي يدرسها ،ويعنى عناية ملحوظة بمعالجة أي موضوع معالجة على أساس الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم. أي أنه يجعل السوره دائرة صغرى تقع داخل الدائره الكبرى للقرآن الكريم.

٢ ــ اتجاه وظيفي للتفسير:

كان الشيخ محمود شلتوت ،في أثناء قيامه بتفسير الآيات القرآنية ، يحرص على أن يوظف تفسيره للنهوض بالمسلمين وترقيتهم اجتماعياً وسياسياً وفكرياً واقتصادياً وتوعيتهم وهو يعدّ في ذلك امتداداً لعلماء الدين المصلحين الذين سبقوه .

ومن الامثلة على ذلك قول الاستاذ محمود شلتوت في دلالة النداء من الله«كلمات: نتقدم هنا إلى المسلمين بكلمات عن هذه النداءات التي سيجدون فيها القوى التي يحتمها الاجتماع لصيانة كل مجتمع .وما أجدرنا ــ معشر المسلمين ــ وبخاصة في هذا الوقت الذي انحلت فيه عرى الوحدة الاسلامية، وتمكنت من المسلمين عوامل الافساد داخلية وخارجية .ما أجدرنا ان نستمع الى هذه النداءات الالهية، وأن نتدبرها ،وأن نعقل معناها وان ندرك وحيها، وأن نجعلها نبراساً في الحياة ، لتعود الينا صولة الامة القوية ومكانة الاخلاق القويمة، وننزل المنزلة التي أرادها الله لنا،وأنزل كتابه لاجلها «قد جاءكم من الله نور وكتاب يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم» (٣).

---

(١) المصدر السابق ، ص٥٣٧ .

(٢) المصدر السابق، ص٥٣٧-٥٤٨ .

(٣) تفسير القرآن الكريم-الاجزاء العشرة الاولى- ، محمود شلتوت ،ط٧ ، ص١٢٢، ١٢٣

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد المفسر النحوي أبا حيان الاندلسي يدرس في موضع من تفسيره المحكم والمتشابه دراسة مستفيضة (١).

والتفسير الفقهي للقرآن الكريم قبل ظهور التقليد والتعصب المذهبي وبعده قد ساهم مساهمة واضحة في ارساء قواعد المنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم. ومدار التفسير الفقهي على آيات الاحكام. والمتعصب لمذهبه الفقهي ينظر الى آيات القرآن من خلال مذهبه فينزلها عليه.

فالجصاص الحنفي مثلاً صاحب أحكام القرآن المتوفي سنة ٣٠٥هـ/ ٩٧١م. يركز في تفسير القرآن على مذهبه والترويج له ويبوبه كتبويب كتب الفقه.

ولا جدال في أن كثيراً من مفسري القرآن قد مهدوا للشيخ محمود شلتوت الطريق الى منهجه الموضوعي في تفسير القرآن الكريم .

ولكن الشيخ محمود شلتوت وسع أبواب هذا المنهج وركز عليه تركيزاً واضحاً وزينه بسهولة العبارة وجمال التنظيم .

---

(١) البحر المحيط ، أبو حيان الاندلسي ، ج٢ ، ص٣٨١-٣٨٣ .

المراجع

١ ـ الاسلام عقيدة وشريعة ،محمود شلتوت، ط١٢،١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الشروق ،بيروت.

٢ ـ البحر المحيط ،أثير الدين ابو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي المتوفي سنة (٧٥٤هـ ـ ١٣٥٣م) ٨م، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض.

٣ ـ تفسير القرآن انكريم ـ الاجزاء العشرة الاولى ـ ،محمود شلتوت، ط١،دار القلم ،القاهرة ،مطابع دار القلم ،١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م ط٧، دار الشروق ، بيروت والقاهرة ،١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤ ـ التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي الشافعي المتوفي سنة (٦٠٦هـ ـ ١٢٠٩م) ،١٦م، ٣٢ج،ط٢، دار الكتب العلمية ،طهران.

٥ ـ القرآن والقتال، محمود شلتوت،ط ١،١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م،. مطبعة النصر، القاهرة .

٦ ـ مناهج المفسرين ،د. منيع عبد الحليم محمود ،دار الكتاب المصري ـ القاهرة دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، ط١، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٧ ـ منهج ابن القيم في التفسير، محمد احمد السنباطي، من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية ،١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م. القاهرة ،ط١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية.